



## MAQOLAT: Journal of Islamic Studies

Journal website: <https://maqolat.com/>

ISSN : 2985-5829 (Online)

DOI: <https://doi.org/10.58355/maqolat.v4i1.221>

Vol. 4, No. 1 (2026)

pp. 79-104

### Research Article

## الإعجاز التأثري للقرآن الكريم، ورسالته في خدمة اللغة العربية

Abdullah Latreche<sup>1</sup>, Mohamed Arkam Razzak<sup>2</sup>

1. Ali Kafi University Center, Tindouf, Algeria; [aboubelsamir@gmail.com](mailto:aboubelsamir@gmail.com) 
2. International Institute of Islamic Thought and Civilization (ISTAC-IIUM), Malaysia; [arkamrasak@gmail.com](mailto:arkamrasak@gmail.com)



Copyright © 2026 by Authors, Published by MAQOLAT: Journal of Islamic Studies. This is an open access article under the CC BY License <https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Received : November 20, 2025

Revised : December 11, 2025

Accepted : January 04, 2026

Available online : February 25, 2026

**How to Cite:** Abdullah Latreche, & Razzak, M. A. (2026). The Miraculous Impact of the Holy Qur'an and Its Role in Serving the Arabic Language. *MAQOLAT: Journal of Islamic Studies*, 4(1), 79-104. <https://doi.org/10.58355/maqolat.v4i1.221>

### The Miraculous Impact of the Holy Qur'an and Its Role in Serving the Arabic Language

**Abstract.** The Miraculous Impact (al-I'jaz al-Ta'thiri) represents a profound facet of the Qur'an's miracle, manifesting as an irresistible impact on every listener or reader, transcending background or belief. This phenomenon encompasses both apparent and subtle effects on the human heart—simultaneously instilling tranquillity and awe, beauty and majesty. The unique convergence of such contrasting emotions within a single text confirms the Qur'an's divine origin and affirms Prophet Muhammad's (peace be upon him) message. This study examines the nature of this miraculous impact (its essence, mechanism, and purpose), its psychological and social impact, and its vital role in serving the Arabic language. Employing a descriptive-analytical methodology, it examines Qur'anic verses to analyse the relationship between their linguistic elegance and psychological influence, tracing how the Quran employs Arabic's expressive capacities in innovative contexts. The research hypothesis is that

the Prophet utilised this inimitability as a fundamental da'wah tool; its impact transcends human states; scholars historically recognised it as proof of divine origin; and the Quran captivates through irrefutable evidence that overwhelms mere debate. Findings confirm that the Qur'an's miraculous impact was crucial to Arabic, ensuring its preservation and enriching its grammatical, morphological, and rhetorical sciences. The Qur'an's supreme eloquence and artistic imagery elevated Arabic from a regional language to a global civilizational medium capable of bearing its multidimensional discourse. This demonstrates an organic connection between the Qur'an and Arabic, where miraculous impact served not only theological purposes but also secured the language's enduring vitality as a vessel for the Islamic message to humanity.

**Keywords:** Miraculous Impact, Holy Qur'an, Arabic Language, Qur'anic Eloquence, Artistic Imagery, Psychological Impact.

#### ملخص:

يُعد الإعجاز التأثري وجهاً بارزاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، حيث يظهر في التأثير العميق الذي يحدثه النص القرآني في نفس كل من يسمعه أو يقرؤه، بغض النظر عن خلفيته أو معتقده. وهذا الإعجاز يتمثل في تلك الآثار الظاهرة والباطنة التي يتركها القرآن في القلوب، من طمأنينة واستشعار للجمال في حال، ومهابة واستشعار للجلال في حال آخر. إن هذا الاجتماع الفريد للمشاعر المتباينة في كلام واحد لا يتأتى إلا للقرآن، مما يجعله معجزة خالدة تظهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة. وتكمن إشكالية البحث في التساؤل عن طبيعة الإعجاز التأثري في القرآن (فيه ومنه وله)، وعمق تأثيره في النفس والمجتمع، ودوره في خدمة اللغة العربية. ولمعالجة هذه الإشكالية، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقف على الآيات ويرصد تأثيرها على النفس والروح والعقل، ويحلل العلاقة الجوهرية بين البلاغة القرآنية والتأثير النفسي، مع تتبع كيفية توظيف الطاقات التعبيرية للغة في سياقات جديدة. ينطلق البحث من فرضيات عدة، أهمها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لجأ إلى الإعجاز التأثري كوسيلة أساسية في دعوته، وأن هذا الإعجاز يشمل جميع الناس على اختلاف حالاتهم النفسية والاجتماعية. كما يفترض البحث أن العلماء عبر العصور لاحظوا هذا التأثير واعتبروه وجهاً من وجوه الإعجاز، وأن القرآن يملك على النفس البشرية من خلال تقديم البراهين القاهرة والأدلة المفحمة التي تقهر الجدل بالحجة والبيان. كشفت الدراسة أن للإعجاز التأثري دوراً محورياً في خدمة اللغة العربية، حيث أسهم في حفظها من الاندثار، وأثرى علومها المختلفة من نحو وصرف وبلاغة. فالقدرة البلاغية الفائقة للقرآن، وما تحمله من تصوير فني بديع، جعلت من اللغة العربية لغة عالمية حية، قادرة على استيعاب الخطاب القرآني بكل أبعاده. وهذا يؤكد الترابط العضوي بين القرآن الكريم واللغة العربية، وأن الإعجاز التأثري لم يقتصر على الجانب الدعوي فقط، بل شكّل رسالة خالدة في خدمة اللغة وإثرائها، وحوّلها من لغة محلية إلى لغة حضارية شاملة تحمل رسالة الإسلام إلى العالمين.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز التأثري، القرآن الكريم، اللغة العربية، البلاغة القرآنية، التصوير الفني، التأثير النفسي.

#### مقدمة:

اختيار موضوع الإعجاز التأثري للقرآن الكريم جاء نتيجة إدراك أهمية هذا الوجه الفريد من وجوه الإعجاز القرآني، الذي يبيّن قدرة النص القرآني على النفاذ إلى النفس البشرية والتأثير فيها

بشكل ظاهر أو باطن، بغض النظر عن الخلفية الدينية أو الاجتماعية للقارئ أو السامع. ويتمثل جوهر هذا الإعجاز في تأثيره العميق على الحالات النفسية للمخاطبين كافة، من الحاكم إلى المحكوم، ومن القوي إلى الضعيف، ومن العربي إلى الأعجمي، ومن الغني إلى الفقير، ومن السعيد إلى الشقي، إذ يخاطب القرآن كل نفس في حالتها الخاصة ويترك أثرًا لا يمكن مقاومتها، سواء أقبلت النفس الرسالة أو رفضتها، مما يبرز قدرة القرآن على الجمع بين مختلف الانفعالات والمشاعر الإنسانية في نص واحد، ويؤكد صدق رسالة النبي ﷺ. ويهدف البحث إلى دراسة طبيعة الإعجاز التأثري للقرآن (فيه ومنه وله)، وبيان مدى تأثيره على الفرد والمجتمع والحياة، وكذلك دوره في خدمة اللغة العربية وإثراء علومها، مع تسليط الضوء على العلاقة بين البلاغة القرآنية والتأثير النفسي والروحي للعقل البشري. وتتمثل إشكالية البحث في التساؤل عن الكيفية التي يؤثر بها القرآن في النفس البشرية، وما الوسائل والآليات التي توظفها الآيات لتحقيق هذا التأثير، ومدى تباين درجات التأثير بحسب الحالة النفسية والاجتماعية للمخاطب، مع البحث في امتداد أثر الإعجاز التأثري على اللغة العربية وعلومها. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة مجموعة مختارة من الآيات، ورصد أثرها النفسي والروحي والعقلي، وتحليل خصائصها البلاغية وأساليبها التعبيرية، مع الاستفادة مما أشار إليه كبار علماء التفسير والبلاغة في القديم والحديث، الذين لاحظوا تأثير القرآن في القلوب والنفوس واعتبروه وجهًا من وجوه الإعجاز، مؤكدين قدرة القرآن على تقديم الدليل المفحم لكل شبهة وتسليط البرهان القاهر على كل حجة.

وتعكس الدراسات الحديثة اهتمام الباحثين المعاصرين بهذا الموضوع، حيث أظهرت دراسة حديثة عام 2025 بعنوان *The Noble Qur'an and Its Psychological Impact on the Recipient* الدور النفسي العميق للقرآن في مخاطبة النفس البشرية، سواء لدى المؤمنين أو غير المؤمنين، كما أكدت دراسة عام 2024 بعنوان *الإعجاز التأثري للقرآن الكريم - التأصيل والمظاهر الأبعاد البلاغية والروحية للإعجاز التأثري وأثره في القلوب والنفوس*، ما يعزز أهمية البحث في هذا المجال ويبين استمرار حيوية موضوع الإعجاز التأثري في الدراسات الحديثة. ومن خلال هذه الخلفية، يسعى البحث إلى تقديم رؤية متكاملة حول الإعجاز التأثري للقرآن، تجمع بين التحليل البلاغي والتأثير النفسي والاجتماعي، وتؤكد ارتباط القرآن الكريم باللغة العربية ودورها الحضاري المستمر.

أولا-توطئة أساسية:

انقسم العرب إزاء القرآن إلى فريقين رئيسيين منذ أن بدأ نزوله على النبي محمد ﷺ:

1-فريق المؤمنين به:

المؤمنون بالقرآن الكريم كانوا فريقاً أساسياً في دعوة الإسلام، إذ آمنوا بأن القرآن كلام الله ووحى منزل على النبي ﷺ، فاتبعوه وصدقوا به. وقد نشأت قوة هذا الفريق من إيمانه العميق وتأثره بالآيات التي كان لها أثر مباشر على النفس والعقل، ما جعلهم صادقين في نصرة الرسالة ونشرها. ومن أبرز الأدلة على ذلك الصحابة الكرام، مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، الذين ساندوا الرسول ﷺ وقدموا تضحيات كبيرة للدفاع عن الإسلام، كما نُذكر الشعراء المؤمنون مثل حسان بن ثابت، الذي دافع عن الإسلام بشعره ضد هجوم المشركين. وتحليل هذه الأمثلة يظهر أن تأثير القرآن لم يقتصر على التغيير النفسي الفردي، بل امتد إلى الفعل الاجتماعي والسياسي، إذ شكّل حافزاً للمؤمنين للعمل والتضحية في سبيل الله. لذلك يمكن القول إن الإيمان بالقرآن وتأثر النفوس بآياته أسهما في خلق قاعدة بشرية صلبة كانت داعمة أساسية لرسالة الإسلام وانتشارها<sup>1</sup>.

## 2- فريق المكذبين والمعارضين له:

على النقيض من ذلك، كان هناك فريق من المعارضين والمكذبين بالقرآن الذين رفضوا الإيمان به وادّعوا أنه شعر أو سحر أو أساطير الأولين، وكان سبب رفضهم غالباً حماية مصالحهم الاجتماعية والسياسية والتشبث بموروثات الجاهلية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك كبار زعماء قريش مثل أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة، الذين حاولوا إيقاف انتشار الدعوة، والمستفزون الذين سخروا من القرآن والرسول ﷺ مثل النضر بن الحارث، الذي كان يلبي الناس بالقصص الفارسية. ومع ذلك، بين القرآن الكريم أثراً بالغاً حتى في هؤلاء المعارضين، إذ إن كلام الله يتجلّى في النفوس الصلبة مثل الجبال، يقول رب العزة جل وعلا: (لَوَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)<sup>2</sup> والعجيب تأثير القرآن الكريم في عهد التنزيل على نساء المشركين وأطفالهم الذين غشيتهم سكينه القرآن فجمعتهم حوله، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ابتنى مسجداً بفناء داره، وبرز، فكان يصلي فيه ويقراً القرآن، فيتقصّف عليه نساء المشركين وأبنائهم -والتقصّف هو الازدحام والاحتفاظ- يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً بكاءً لا يملك دمعاً حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشرف قريش من المشركين<sup>3</sup>.

مما يدل على القوة الروحية والهيبة التي يتركها القرآن. ويظهر تحليل هذه الآيات والتجارب التاريخية أن تأثير القرآن لم يقتصر على المؤمنين فقط، بل شمل النفوس المعادية أيضاً، فأصاب

<sup>1</sup> السيد أحمد، بن عمر بن أحمد. 2019. مجلة أبحاث، العدد 13، الصفحات 204-244

<sup>2</sup> سورة الحشر، الآية 21

<sup>3</sup> صحيح البخاري، الحديث 2297

بعضهم بالرهبة أو الدهشة، كما حصل مع نساء المشركين وأطفالهم الذين كانوا يجتمعون حول أبو بكر رضي الله عنه لسماع القرآن. وعليه، يتضح أن القرآن يمتلك قدرة فريدة على التأثير النفسي والروحي في جميع الناس، مؤمنين ومعارضين، وهو ما يؤكد وجهًا من وجوه الإعجاز التأثري في النفس البشرية<sup>4</sup>.

### ثانيا- مفهوم الإعجاز التأثري:

إعجاز القرآن هو إظهار صدق النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في دعوى الرّسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته، وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك؛ لأن القرآن قد سما في علوه إلى شأن بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته، أو تشريعه، أو إخباره عن الغيب.

الإعجاز التأثري للقرآن: وجه من وجوه إعجاز القرآن، يتمثل فيما يتركه القرآن من أثر ظاهر أو باطن على سامعه وقارئه، ولا يستطيع القارئ أو السامع مقاومته، ولا دفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به، بل يشمل غيرهم أيضاً. وتعود أسباب الإعجاز التأثري إلى جملة أمور نشير إلى أبرزها:

- كون النص إلهي المصدر بيقين، ولهذه الصفة تأثيرها في النفوس.
- ما اشتمل عليه القرآن من حديث عن: الألوهية، والغيب، والرسول، والجنة، والنار ومحاوراة النفس الإنسانية، والارتقاء بالمفاهيم والتصورات إلى الدرجة التي تجعل كل عمل الإنسان عبادة لله تعالى.
- قوة الإيمان بالنص، وصفاء النفس عند تلاوته وتدبره.
- لحظة معايشة القرآن من حيث الزمان، ومن حيث المكان.
- وأحوال النفس الإنسانية في هذه اللحظة، ومدى أسباب التأثير أو قوة الموانع التي تحول دون بلوغ التأثير مداه.

إنَّ للقرآن الكريم تأثيراً بأسلوبه الخلاب على سامعه وقارئه، من خلال سلطانه العجيب الذي يؤثر في القلوب المؤمنة والكافرة، فاعتبر بعض العلماء هذا التأثير وجهاً مستقلاً من أوجه الإعجاز القرآني. فهو: "وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، كما أشار إليه السابقون، ويتمثل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به"<sup>5</sup>.

<sup>4</sup>ينظر: أبو الحمد، جابر منصور علي. 2022. التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف

والإجحاف.

<sup>5</sup>الشريف الجرجاني، محمد بن علي. التعريفات، دارالكتب العلمية، 1998م، ص 9

أو هو تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافراً.<sup>6</sup>

ويقول مصطفى صادق الرافعي: "ولما كان مرجع تقدير الكلام في بلاغته وفصاحته إلى الإحساس وحده، وخاصةً في أولئك العرب الذين، من أين تأملتهم ورأيهم، كأنما خلقوا خلقاً لغوياً، وكان القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان، ومذاهب النفس إليه، فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله، وكأن كل امرئ منهم كأنه يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز، وإن حمل كل إفاكٍ وزورٍ على طرف لسانه"<sup>7</sup>

خلاصة هذا الحديث، أنّ الإعجاز التأثري للقرآن هو: وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم أشار إليه السابقون، ويتمثل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به.

إنّ الإعجاز التأثري في القرآن الكريم يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعاً، الحاكم والمحكوم والقوي والضعيف والعربي والأعجمي والغني والفقير والشقي والسعيد، يخاطبهم القرآن في حالاتهم النفسية كلها فيؤثر فيهم جميعاً على اختلاف في درجات التأثير، فمن النفوس من تعود إلى فطرتها ومن النفوس من تصر على انحرافها وكلا النفسين تتفقان في نقطة واحدة وهي الإقرار بقوة تأثير القرآن في النفس البشرية.

لذلك قال تعالى مقرراً هذه القوة التأثريّة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>8</sup>، وفي موضع آخر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشِعُ عَنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾<sup>9</sup>

### ثالثاً-نشأة الإعجاز التأثري وتطوره:

هنا يمكننا تمييز مرحلتين: أ- مرحلة النشأة. ب- مرحلة التطور.

أ- النشأة: تتمثل نشأة هذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم بنزول القرآن نفسه اتصالاً مباشراً وذلك من خلال:

<sup>6</sup> الخالدي، صلاح عبد الفتاح. البيان في إعجاز القرآن، ص 341 – 342

<sup>7</sup> الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 191-192

<sup>8</sup> سورة الحشر، الآية 21

<sup>9</sup> سورة الزمر، الآية 23

1- أمر الله تعالى في كتابه الحرص على إسماع المشركين القرآن الكريم ليكون ذلك عوناً على دعوتهم للإسلام، ولعل قصة وليد بن المغيرة فيها إفصاح وإيضاح؛ حيث قص الله - تعالى - علينا خبره في سورة المدثر، قال السيوطي في (الإتقان): "أخرج الحاكم عن ابن عباس أنه قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعرمني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليعظم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره"<sup>10</sup>

2- ما ورد في كتب السيرة والتفسير وأغلب الكتب التي تتناول قضية الإعجاز عن لجوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لإعجاز القرآن التأثيري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة للإسلام وظهور أثر هذه الوسيلة الفعالة في كل من استعملت معه؛ إما قبولاً واعتناقاً للإسلام أو نفوراً وإعراضاً عنه أو إقراراً لإعجاز القرآن في حاله؛ وفي هذا نجد آيات كثيرة نورد منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>11</sup> وقل جل جلاله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>12</sup>، وقال عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>13</sup>

3- إن الإعجاز التأثيري في هذه المرحلة وهي مرحلة النشأة الأولى يتمثل في الممارسة والسلوك العملي للإعجاز نفسه دون التأليف فيه أو وضع قواعد أو أصول له، وإنما تدلّ الشواهد الكثيرة على ممارسته في حياة المسلمين. وبعد قرنين من الزمان وفي أوائل القرن الثالث الهجري أشار الجاحظ من خلال حديثه عن الإعجاز البلاغي للقرآن إشارات خاطفة للإعجاز التأثيري، فقد آمن بفكرة الإعجاز، ووضع كتاباً حول الإعجاز الأسلوبى للقرآن أسماه (نظم القرآن)، لم يصل إلينا، ولكن الجاحظ على طريقتة في الإشارة إلى بعض كتبه في بعضها الآخر، أورد بعض الفقرات من هذا الكتاب في كتابيه: (الحيوان) و(البيان والتبيين) الموجودين حالياً، ويتلخص رأي الجاحظ في تبنيه

<sup>10</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. 326/2. وانظر: تفسير الطبري، 98/29، وتفسير ابن كثير، 267/8.

<sup>11</sup> سورة الشعراء، الآية، 192-195

<sup>12</sup> سورة الطور، الآية، 34

<sup>13</sup> سورة هود، الآية، 13

للقول بالصرفة إلى جانب إيمانه بأنَّ العرب عجزوا عجزاً حقيقياً . مع محاولاتهم . عن الإتيان بمثل القرآن، بسبب طريقة نظم القرآن أي أسلوبه، ويعتبر كتاب الجاحظ المفقود هذا أول كتاب في إعجاز القرآن كما يقول الباقلاني (ت 306هـ)، أشار إليه الرافعي وقال: (إنه سبق به عبد القاهر الجرجاني).

#### ب- التطوير:

كثير من علماء التفسير والقرآن والبلاغة في القديم والحديث لاحظوا تأثير القرآن الكريم في القلوب وأثره في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير من وجوه إعجاز القرآن وعبروا عنه بعبارات متفاوتة وسأقف مع عدد من العلماء في القديم والحديث ممّن تحدّثوا عن الإعجاز التأثيري:

#### 1- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي - ت 388هـ:

كان أول من اعتبر هذا التأثير القرآني وجهاً خاصاً من وجوه الإعجاز، فقد نص عليه نصاً في رسالة (بيان إعجاز القرآن) فقال: " في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن . منظوماً ولا منثوراً . إذا قرع السمع خلس له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضميراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً.

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمد إلى قتله، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ (سورة طه)، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن.

وبعث الملاء من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عتبة وأبصره الملاء من قريش قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن.

ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرِّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾<sup>14</sup>، ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>15</sup>، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾<sup>16</sup>، وغير ذلك في آيات ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته.

يقول الدكتور حمّراس: " سرّ إعجاز القرآن لا يكمن فقط في كونه كلاماً منظوماً فصيحاً، بل في التراكيب الدقيقة للنظم التي تجعل المعاني والصور تتفاعل بحيث تتجاوز قدرة البشر على المحاكاة، مما يمنح للنص وقعاً نفسياً وروحياً متميزاً"<sup>17</sup>

وبعد هذا العرض لرأي الخطابي، فإننا نخلص منه إلى جملة النتائج الآتية:

❖ إن الخطابي يعترف في أول رسالته بتعذر تحديد وجه الإعجاز، على الرغم من إقرار جميع علماء البلاغة بوجوده.

❖ مناقشته لبعض وجوه الإعجاز، ونقدها وعدم قبوله إياها كوجه من وجوه الإعجاز

❖ انتهى الخطابي ببيان مجمل لرأيه في إعجاز القرآن الذي سبق أن فصله بأنه (صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس).

## 2- عبد القاهر الجرجاني - ت. 471هـ

يُعدّ عبد القاهر الجرجاني (ت. 471هـ / 1078م) أحد أبرز علماء اللغة والبلاغة، وقد قدّم إسهامات عظيمة في دراسة الإعجاز القرآني، خصوصاً من زاوية التأثير البلاغي واللفني. كانت نظرياته في النظم والمعاني ثورة في فهم أسلوب القرآن الكريم، حيث سعى لإثبات أن إعجاز القرآن ليس في ألفاظه منفصلة، بل في الطريقة التي تُنظم بها هذه الألفاظ لتحدث تأثيراً بالغاً في النفس والعقل.

اعتمد كل من الجاحظ والخطابي والروماني والقاضي الجرجاني على المعيار اللفظي في دراستهم للإعجاز القرآني، ذلك أنهم تعمقوا في دراسة فصاحة اللفظ وكشف أسرار جماله وتجانس حروفه بغض النظر عن علاقته بالألفاظ التي تليه من جهة، وبالسياق النصي الذي وردت فيه من

<sup>14</sup> سورة الجن، الآية 1-2

<sup>15</sup> سورة الحشر الآية 21

<sup>16</sup> سورة الزمر، الآية 23

<sup>17</sup> حمّراس، محمد... إعجاز القرآن وأثره في نظرية النظم بين الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني. مجلة المعيار،

مج. 14، ع. 2، 2023، ص. 35-50.

جهة ثانية. وهذا ما جعل عبد القاهر الجرجاني (471هـ) يؤلف كتابه "دلائل الإعجاز" الذي جاء بالأساس للرد على مزاعم كل من أنصار المعنى الذين أهملوا الألفاظ واقتصروا على معاني الكلم المفردة، أنصار اللفظ الذين اقتصروا على مبحث الفصاحة في دراستهم للإعجاز القرآني، ونخص بالذكر القاضي الجرجاني الذي اعتبر الفصاحة أساس الإعجاز القرآني حينما قال "ولذلك لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة، التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ومتى قال القائل: إني وان اعتبرت طريقة النظم فلا بد من اعتبار المزية في الفصاحة فقد عاد إلى ما أردنا"<sup>18</sup>

### 1- نظرية النظم وأثرها في الإعجاز التأثري

1- يرى الجرجاني أن إعجاز القرآن لا يكمن في مجرد فصاحة الألفاظ، بل في طريقة ترتيبها وتنظيمها داخل السياق.

2- أوضح في كتابه "دلائل الإعجاز" أن المعاني لا تستمد تأثيرها من الكلمات منفردة، بل من علاقتها ببعضها البعض في الجملة، بحيث يؤدي هذا الترتيب إلى إيصال المعنى بأقوى صورة ممكنة.

3- أسلوب القرآن الفريد في النظم هو ما يجعله يؤثر في النفوس بطريقة لا يمكن لمحاك أن يأتي بمثلها، ولهذا تحدى العرب أن يأتوا بمثله، لذلك نجد مقال: نظرية النظم عند القاهر الجرجاني وتأثيرها في دراسته للصورة البيانية، يستعرض كيف "وظّف الجرجاني نظرية النظم لتحليل الصورة البيانية في القرآن والشعر؛ يبيّن أن التراكيب والنظم تمنح النص بعداً فنياً وبلاغياً، ما يفتح الباب أمام فكرة «الإعجاز التأثري» عبر البنية النصية المنظمة"<sup>19</sup>.

### 2- التناسب والانتلاف بين الألفاظ والمعاني.

1- من العوامل التي تزيد التأثير في النص القرآني عند الجرجاني هو التناسب العميق بين الألفاظ والمعاني، حيث يتم اختيار كل لفظ بعناية ليؤدي دوراً دقيقاً في تحقيق المعنى الكلي.

2- هذا التناسب يجعل القرآن يُحدث تأثيراً خاصاً في القارئ والسامع، سواء كان ذلك من خلال الإيقاع الموسيقي للألفاظ، أو من خلال تدفق المعاني بطريقة محكمة تجعل القارئ يعيش تجربة شعورية وفكرية متميزة.

### 3- التقديم والتأخير وأثره في التأثير النفسي

1- أكد الجرجاني أن القرآن يستخدم التقديم والتأخير بطريقة فريدة تساهم في تعزيز المعنى وإثارة المشاعر.

<sup>18</sup> القاضي الجرجاني، أبو الحسن. المغني، الفصل 16، ص 198

<sup>19</sup> علي، حبيب الله إبراهيم علي. نظرية النظم عند القاهر الجرجاني وتأثيرها في دراسته للصورة البيانية.

مجلة: دراسات وأبحاث، 2015، 7 (18)، 319-334.

مثال: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>20</sup>، حيث قدّم المفعول به "إياك" لإحداث توكيد معنوي، مما يُشعر القارئ بجلال التوحيد والخضوع لله وحده، وهذا له أثر عاطفي وتأثري عميق.

#### 4-الإيقاع القرآني ودوره في التأثير

1- تناول الجرجاني مسألة الإيقاع الصوتي في القرآن، مؤكداً أن تناسق الأصوات والسجع القرآني ليس مجرد زينة لفظية، بل هو وسيلة تعبيرية تزيد من قوة التأثير النفسي.  
2- يرى أن القرآن يحقق التوازن بين الجمال اللفظي والعمق الدلالي، مما يجعله أكثر تأثيراً مقارنة بأي نص آخر.

يوضح الجرجاني أن التناسق الصوتي والسجع في القرآن الكريم ليس مجرد زخرفة لفظية، بل وسيلة لإيصال المعاني بقوة وتأثير نفسي على المتلقي، بحيث يجمع بين جمال اللفظ وعمق الدلالة<sup>21</sup>

#### 5-الاستعارة والتمثيل وأثرهما في التأثير البلاغي

1 أشار الجرجاني إلى أن الاستعارات والتشبيهات في القرآن ليست مجرد أدوات بيانية، بل هي وسائل تأثرية تجعل القارئ يتفاعل مع المعاني بعمق أكبر.  
مثال: قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>22</sup>  
حيث استُخدمت الاستعارة التصريحية لتصوير الدين كحبل، مما يخلق مشهداً ذهنياً قوياً يعزز الفكرة ويزيد من التأثير.

#### 2-الإمام ابن قيم الجوزية- ت. 751هـ

يُعد ابن القيم الجوزية (ت. 751هـ / 1350م) من أبرز العلماء الذين تناولوا موضوع تأثير القرآن الكريم في النفوس والعقول، حيث ركّز على الجانب التأثري للقرآن من خلال قدرته الفريدة على شفاء القلوب، وتقويم السلوك، وتحقيق السكينة والطمأنينة في النفوس. وفي مؤلفاته، خاصة "الفوائد" و"\*زاد المعاد في هدي خير العباد"\*، تطرق إلى الإعجاز التأثري للقرآن من جوانب متعددة. يبيّن ما يحصل على القلوب والنفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبه والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع، سواءً أكانت فاهمةً لمعانيه أم غير فاهمة، وسواءً أكانت كافرةً بما جاء به أم مؤمنةً، حيث قال: "إذا تريد الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك

<sup>20</sup> سورة الفاتحة، الآية 05

<sup>21</sup> الجرجاني، عبد القاهر. 1992 [448 هـ]. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار

الفكر العربي، ص. 85-102.

<sup>22</sup> سورة آل عمران، الآية 103

عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله<sup>23</sup> فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>24</sup>

جوانب التأثير التي اهتم بها:

### 1- تأثير القرآن في النفوس والقلوب

- يرى ابن القيم أن القرآن يمتلك تأثيراً لا يُضاهى على القلوب، فهو يخترق النفس البشرية ويُحدث فيها تغييراً عميقاً.
- يقول: "القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة"<sup>25</sup> مشيراً إلى أن تأثيره لا يقتصر على المعرفة أو الإعجاب، بل يمتد إلى إصلاح القلوب وإزاحة الغشاوة عنها.

### 2- الإعجاز التأثري في تحقيق الطمأنينة والسكينة

- استدل ابن القيم بالآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>26</sup>، ليؤكد أن للقرآن تأثيراً مباشراً في تهدئة القلوب وبث الطمأنينة، وهو أثر لا يمكن لأي كلام بشري أن يحدثه.
- هذا التأثير نابع من التناغم بين الألفاظ والمعاني والموسيقى الداخلية للآيات، مما يجعل السامع يشعر بالراحة والسكينة.

### 3- تأثير القرآن في تغيير السلوك وإصلاح الأخلاق

- يشير ابن القيم إلى أن القرآن ليس مجرد نص مقروء، بل هو منهج عملي يغيّر حياة الأفراد والمجتمعات.
- يرى أن تأثيره يظهر جلياً في سلوك من يقرأه ويتدبره، حيث يغرس في النفس معاني الصبر، والشكر، والتواضع، والخوف من الله، مما ينعكس على تصرفات الإنسان في حياته اليومية.
- يؤكد أن من تدبر القرآن بصدق يجد نفسه مُنساقاً نحو الصلاح، مبتعداً عن المعاصي، وكأنه يتفاعل مع طاقة روحية لا يجدها في أي كلام آخر.

<sup>23</sup> ابن القيم، الجوزية، الفوائد المشوق في علوم القرآن، دار الكتب العلميّة، الفوائد، ص 15 – 17

<sup>24</sup> سورة ق، الآية 37

<sup>25</sup> ابن القيم، محمد بن أبي بكر. 1414هـ/1994م. الشفاء في طب القلوب، تحقيق: عبد الله بدران، الرياض:

دار المعرفة، ص. 23.

<sup>26</sup> سورة الرعد، الآية 28

#### 4- الإعجاز التأثري من خلال الخطاب الموجّه للعقل والقلب معاً

- يرى ابن القيم أن أحد أسباب الإعجاز التأثري للقرآن هو قدرته على مخاطبة العقل والقلب معاً.
- القرآن يستخدم أساليب متنوعة (التكرار، الاستفهام، القصص، الأمثال) تجعل المعاني تترسخ في الذهن وتؤثر في العاطفة، مما يخلق حالة من التفاعل العميق بين القارئ والنص.
- مثال: في قصة يوسف عليه السلام، نجد تسلسلاً للأحداث بطريقة تجعل القارئ يعيش القصة بعاطفته وعقله في آن واحد، مما يُحدث تأثيراً نفسياً قوياً.

#### 5- تأثير القرآن على أهل الفصاحة والبيان:

يذكر ابن القيم أن القرآن لم يؤثر فقط في المؤمنين، بل حتى في أعدائه الذين اعترفوا بعظمته رغم عدم إيمانهم به.

استشهد بقصة الوليد بن المغيرة، الذي سمع القرآن فقال: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه!"، ومع ذلك رفض الإيمان به عناداً.

هذا يدل على أن القرآن يمتلك قوة تأثيرية تجعل حتى المنكرين له يدركون عظمته، رغم تعنتهم.

#### يجعل ابن القيم أركان تأثير القرآن أربعة:

- المؤثر القوي (والمقصود به القرآن الكريم).
  - أداة التلقي (القلب والسمع).
  - رغبة السامع في تفهم ما يسمع وتعلّقه.
  - الخروج من شتى الموانع، سواء أكانت انحرافات عقائدية، أم شبهات فكرية، أم نزعات شهوانية، أم مكانة أدبية، أم منزلة اجتماعية، أم غير ذلك.
- ومن المحدثين نذكر:

سيد قطب-1906 م-ت 1966 م:

كان سيد قطب (1906-1966) من أبرز المفكرين الإسلاميين الذين تناولوا القرآن الكريم بأسلوب أدبي وتحليلي عميق، ومن أهم القضايا التي ركّز عليها الإعجاز التأثري للقرآن.

يرى سيد قطب أن القرآن لا يُعجز فقط ببيانه اللغوي أو حقائقه العلمية، بل يتجلى إعجازه الأهم في تأثيره الروحي والعاطفي والفكري على القارئ والسامع، بحيث يغيّر وجدان الإنسان وسلوكه

ونظرته للحياة، وفي هذا نجده يكتب قائلاً: "ومن ثم عشت في ظلال القرآن هادئ النفس مطمئن السريرة، قدير الضمير، عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر، عشت في كنف الله ورعايته، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها"<sup>27</sup>، يؤكد النص الأول من الظلال حقيقة جمالية كان يعيشها المؤلف، هو ذلك التناسق العجيب داخل النص القرآني في حركة الإنسان، وحركة الكون، وإرادة الله. ويؤكد النص الثاني نتيجة ذلك التذوق والمتعة اللتين وجدتهما في نفسه ف"الجمال هو الذي يدخل البهجة والسرور في النفوس عندما يرى، وهو مظهر متغير للجمال الأعلى الخالد -الله- الذي هو مصدر كل جمال، وما الطبيعة إلا وجه لنفسه العظيم"<sup>28</sup>.

إن سيد قطب رحمه الله لم يكتب كتاباً خاصاً في الإعجاز، ولكن ما كتبه عن القرآن الكريم وهو كثير نتذوق فيه حلاوة الإعجاز، ويسري فيه روحه، ونجد فيه لبه وحقيقته، ومن نافلة القول إن يكون الإعجاز البياني الوجه الأول والأتم عند سيد قطب، ولكنه مع ذلك لم يفته أن ينبه إلى وجوه كثيرة من وجوه إعجاز القرآن، يقول "إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز الإنس والجن عن الاتيان بمثله، هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به"<sup>29</sup>.

بدأ قطب العيش مع القرآن مبكراً وأواخر الثلاثينيات حين بدأ ينشر فصولاً من كتابه "التصوير الفني في القرآن" في مجلة المقتطف قبل أن ينشرها كتاباً فيما بعد، ثم تابع العيش في ظل القرآن في كتابه الثاني "مشاهد القيامة في القرآن"، وكان قد عزم على إصدار عدة كتب فيما سماه سنة 1947 "مكتبة القرآن الجديدة". وقد ذكر سيد في مقال كتبه سنة 1945 أن لديه نسخة من المصحف كانت مرجعه في أثناء تحضير كتابه "التصوير الفني"، وتحمل صفحاتها "تأشيراته" على مواضع التصوير في القرآن، ليثبت أن قاعدة التصوير الفني في القرآن ثابتة لديه دراسة وإحصاء.

### نظرية التصوير الفني وعلاقتها بالإعجاز التأثيري:

يقول سيد: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر في الصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني ... ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة

---

<sup>27</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة-بيروت: دار الشروق، ط11، 1405هـ-1985م، طبعة منقحة مصوبة فيها إضافات تنشر للمرة الأولى، ج1، ص13

<sup>28</sup> جبرائيل سليمان جبور، كيف أفهم النقد؟ نقد وردّ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، عام1403هـ - 1983م، ص53.

<sup>29</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة-بيروت: دار الشروق، ط11، 1405هـ-1985م، طبعة منقحة مصوبة فيها إضافات تنشر للمرة الأولى، ج15، ص67

المتجددة، فإذا بالمعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج  
الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية<sup>30</sup>

فالتصوير الناتج عن طريق التخيل والتأثير يحصل وفق عدة طرق، منها:

- 1- تصوير المعاني الذهنية المجردة: مثل ضياع أعمال الكافرين، والرياء، وضعف وهزال الآلهة
- 2- تصوير الحالات النفسية والمعنوية، مثل: التعاسة والحيرة والتزعزع واليأس..
- 3- تصوير النماذج الإنسانية، مثل: المعاند والمكابر والمؤمن والصادق..
- 4- تصوير مشاهد الحوادث الواقعة والأمثال والقصص، مثل: هزيمة الأحزاب
- 5- تصوير مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب
- 6- تصوير الجدل والأجواء المحيطة به.

يصور القرآن كل شيء عبر كلمات، حين تتأملها تجدها حية تسعى أمامك، وفيها الحالات  
النفسية والاجتماعية والمعنوية، حياة الإنسان وحيرته في دنياه وفكره، تصورات وأوهامه، خلجات  
نفسه ويقينه، إنه يقدم عبر آياته عوالم النفس الإنسانية، عوالم الكون في كلام ليس كالكلام، كلام  
ليس فيه جمود، بل كلمات تحيا، وصور مباشرة وغير مباشرة "ومن الناس من يعبد الله على حرف"،  
"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"، "أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من  
أسس بنيانه على شفا جُرْفٍ هارٍ فانهار به في جهنّم؟" إنها لوحات وصور وقصص تتراقص أمام عينيك  
في جمل تعبيرية جميلة مترابطة، لم يأت القرآن ليطلب التشريع في جمل أمر فقط، بل صاغ التشريع  
والأوامر والنواهي في كلمات مصورة بديعة، يعطيك الحكمة ويكشف دواخلك في لحظات الضعف  
والقوة.

يقول سيد معلنا مذهبه في التعرف على القرآن: "إن الناس يخسرون الخسارة التي لا يعارضها  
شيء بالانصراف عن هذا القرآن وإن الآية الواحدة لتصنع أحيانا في النفس - حين تستمع لها وتنصت.  
أعاجيب من الانفعال والتأثير والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك، والطمأنينة والراحة، والنقلة  
البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه!

وإن العكوف على هذا القرآن في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم! لينشئ في القلب والعقل  
من الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب.

وإن رؤية حقائق الوجود من خلال التصوير القرآني وحقائق الحياة ورؤية الحياة البشرية  
وطبيعتها وحاجاتها من خلال التقريرات القرآنية، لمي رؤية باهرة واضحة دقيقة عميقة، تهدي إلى  
معالجتها وإلى مزاولتها بروح أخرى، غير ما توجه إليه سائر التصورات والتقريرات البشرية... وهذا كله

<sup>30</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002، ص7

أرجه إلى الرحمة... وهو يكون في الصلاة وفي غير الصلاة وليس هناك ما يخصص هذا التوجيه القرآني العام بالصلاة كما روى القرطبي عن النحاس.

وحيثما نتبع النص الظلالي الآتي نجده ينبع من ذوق جمالي، وأثر نفسي من خلال وعي كامل بسورة طويلة متعددة الموضوعات، يجمعها في حقيقة كلية كبرى ذات أحداث تتحرك في فضاء جمالي فسيح، فسورة (النحل) كما يقول عنها المؤلف: "وفي هذا المجال الفسيح يبدو سياق السورة وكأنه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير، واستجاشة العقل والضمير، حملة هادئة الإيقاع، ولكنها متعددة الأوتار ليست في جلجلة الأنعام والرعد، ولكنها في هدوئها تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري، وتتجه إلى العقل الواعي كما تتجه إلى الوجدان الحساس إنها تخاطب العين لترى، والأذن لتسمع، واللمس ليستشعر، والوجدان ليتأثر، والعقل ليتدبر، ويحشد الكون كله؛ سماءه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره وجباله وبحاره وفجائه وأنهاره وظلاله وأكنانه نبتة وثماره وحيوانه وطيوره، كما تحشد دنياه وآخرته وأسواره وغيوبه. كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح والعقول والقلوب، مختلف الإيقاعات التي لا يصمد لها، فلا يتأثر لها إلا العقل المغلق والقلب الميت والحس المطموس"<sup>31</sup>

أما في جزئية التأثير، فإن سيد يقول عن تأثير القرآن الكريم: "إن في هذا القرآن، سرّاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره"<sup>32</sup>

يقول رحمه الله للقرآن تأثير عجيب على الأئمة وسلطان قوي على النفوس: "يبقى وراء ذلك السرّ المعجز في هذا الكتاب العزيز، يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة متى خلي بينه وبينها لحظة - وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب وثقل فوقها الركام تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ، وتحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن. إن الذين يقولون كثيرون، وقد يقولون كلاماً يحتوي على مبادئ ومذاهب وأفكار واتجاهات، ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول: إنّه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب"<sup>33</sup>

<sup>31</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2158.

<sup>32</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص3399.

<sup>33</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1421.

يكاد المنحى التأثري من السبك الأدبي يتجلى عند المؤلف للكشف عن الجمال في الكتاب المفتوح والكتاب المقروء، ذلك "أن فكرة التأثير فكرة إنسانية متغلغلة في القدم، فقد تنبه الناس منذ العصور القديمة إلى أنّ الأدب نوع من الإبانة، وآلة للتوصيل الفكري، وأنّ نجاحه يكون على قدر نفاذه إلى عقول سامعيه أو متلقيه"<sup>34</sup>.

اعتبر سيد، القرآن ليس مجرد كلام يُقرأ أو يُتدبر فكرياً، بل خطاباً حيّاً يوجّه القلب والعقل والسلوك، ويخلق في النفس شعوراً بالرهبة والخشية، وطمأنينة بالحق، ومقدرة على التمييز بين الخير والشر. ومن هذا المنطلق، ركّز قطب على تفاعل القارئ مع المعنى وتأثره به، معتبراً أن التفسير الحقيقي هو ما يحقق هذا الأثر النفسي والوجداني، لا مجرد الشرح اللغوي أو البلاغي للمفردات. ولهذا، يمثل تفسيره نموذجاً حديثاً لفهم الإعجاز التأثري للقرآن، حيث يجمع بين الجانب البلاغي والمعنوي والنفسي، ويبرز قدرة النص القرآني على تشكيل الشخصية والأخلاق وإحداث التغيير في النفس والمجتمع عبر التأثير المباشر على القلوب.

#### الشيخ عبد الكريم الخطابي:

يقول الدكتور الخطيب: "إن كلمات القرآن التي كانت على فم الناس، كان لها رحلة إلى الملأ الأعلى من الأرض إلى السماء من أفواه الناس إلى عالم الروح، والحق والنور، وهناك في هذا العالم . عالم الروح والحق والنور . عاشت تلك الكلمات دهرًا طويلاً بين ملائكة، وولدان، وهور، فنفضت عليها هذه الحياة الجديدة روحاً من روحها، وجلالاً من جلالها، ونوراً من نورها، حتى إذا أذن لها الحكيم الخبير أن تعود أدراجها إلى الأرض وتلقى بأفواه الناس مرة أخرى، وتطرق أسماعهم، وتتصل بعقولهم وقلوبهم، لم ينكروا شيئاً من وجودها، وإن سرى إليهم من هذا الوجود ما يخطف الأبصار ويغلب الألباب، فالمؤمنون في شوق متجدد معه. وفي خير متصل منه، وفي عطاء موصول من ثمره، كلما مدوا أيديهم إليه قطفوا من أدبه أدباً عالياً، ومن علمه علماً نافعاً، ومن شريعته ديناً قيماً، وغير المؤمنين في عجب من أمره ودهش. يتناولونه بالأسنة حداد، ويرمونهم بسهام مسنونة، وبكيد عظيم. فما يصل إليه من كيدهم شيء"<sup>35</sup>.

إن العبارة السابقة يحاول فيها الخطيب ن يضع أيدينا على هذا السر الذي جعل لكلمات القرآن على من يسمعه من الأثر الواضح ما لا نجده مما نسمعه من كلام آخر، فكلمات القرآن قد

---

<sup>34</sup>كريب رمضان، فلسفة الجمال في النقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجاً، ديوان المطبوعات الجامعية،

2009، ص75

<sup>35</sup> الخطيب، عبد الكريم. الإعجاز في دراسات السابقين، ص68

رحلت إلى المملأ الأعلى حيناً من الزمن، أعطاهما هذا الرحيل سراً يخطف الأبصار، ويغلب الألباب، ويجعل المؤمنين به في شوق دائم لسماعه، وغير المؤمنين في عجب ودهش من أمره.

ويقول الدكتور الخطيب . معلقاً على كلام الإمام الخطابي عن الإعجاز التأثري للقرآن، والذي سبق لنا ذكره، والذي أثبتنا أنه وجه إعجاز القرآن عنده: "وهذا الوجه من وجوه الإعجاز هو . فيما ترى . المعجزة القائمة في القرآن أبداً، الحاضرة في كل حين، وهي التي تسع الناس جميعاً، عالمهم وجاهلهم، عريهم وأعجمهم، إنسهم وجنهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>36</sup><sup>37</sup>

ويعقب على قول السكاكي: "اعلم أن الإعجاز يدرك، ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن، تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحظة. وكما يدرك طيب النغم العارض للصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذي الفطرة السليمة). بقوله: (وما يقول السكاكي عن إعجاز القرآن . هنا . هو مقطع القول كله في هذا الأمر، إذ ليس الإعجاز الذي رآه الناس إلا روعة تملكهم، وإلا جلالاً يحيط بهم، وما كان لكلام أن يصور حقيقة الروعة، أو يمسك مواقع الجلال، إنها معان تدرك، تستشعر، ولا توصف! ولهذا فإن الناس مع القرآن على منازل ودرجات وحظوظ..."<sup>38</sup>.

كان حديث الدكتور عن الإعجاز يرتكز بصورة أساسية على ما يحدثه القرآن من أثر في النفوس، كما رأينا ذلك واضحاً في مقارنته بين أثر كلام البشر وكلمات القرآن على النفوس البشرية المؤمنة بالقرآن، والمنكرة له على سواء.

إن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومواقف الصحابة. بل وما في واقع الحياة البشرية في عصرنا الحالي وكل ما ذكره الدكتور تثبت وترصد مظاهر هذا الوجه من وجوه الإعجاز في حياة البشر وتؤكد اختياره له.

إن الدكتور ذهب إلى أكثر من الاختيار لوجه الإعجاز التأثري للقرآن الكريم إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما أخذ يبين مزايا هذا الوجه دون سواه، فهذا الوجه يمتاز عن سائر وجوه الإعجاز بأنه:

- أ . المعجزة القائمة في كل حين.
- ب . أنها تسع الناس جميعاً عالمهم وجاهلهم.
- ج . أنها تسعهم بكل لغاتهم، عريهم وأعجمهم.
- د . أنها لا تقتصر على الإنس وحدهم، بل وتسع الجن أيضاً.

<sup>36</sup> سورة الجن، الآية 01

<sup>37</sup> الخطيب، عبد الكريم. المصدر السابق، ص 193

<sup>38</sup> المصدر نفسه، ص 358

لقد أشار الدكتور إلى أن الإعجاز التأثري للقرآن الكريم يمتاز بخصائص فريدة تميّزه عن بقية وجوه الإعجاز، ويجعل منه معجزة متجددة ومتواصلة في كل زمان ومكان. أولاً، يعتبر هذا الوجه من الإعجاز معجزة قائمة في كل حين، أي أن تأثيره النفسي والروحي لا يزول بزمن ولا يتقادم، فالقارئ أو السامع اليوم يختبر نفس القوة في التأثير كما كان المسلمون في عهد التنزيل. هذه الديمومة تجعل الإعجاز التأثري حيًا ومستمرًا، وهو ما يميّزه عن المعجزات المادية أو الظواهر الخارقة التي قد تختفي بمرور الزمن.

ثانياً، يتميز الإعجاز التأثري بكونه شاملاً لجميع الناس، عالمهم وجهلهم؛ فهو لا يقتصر تأثيره على فئة معينة من البشر، بل يشمل كل النفوس البشرية على اختلاف مستوياتها العلمية والمعرفية، فيتلقى المتعلم والمتجاهل، المؤمن والكافر، أثر القرآن بشكل يتناسب مع حالتهم النفسية ومستوى إدراكهم.

ثالثاً، يمتد تأثيره إلى كل اللغات، عربيهم وعجمهم، فمع أن القرآن نزل باللغة العربية، فإن رسالته وأثره النفسي يصل إلى كل الشعوب واللغات من خلال الترجمة والتفسير والتجربة الروحية المباشرة، وهو ما يجعل معجزته شاملة وعابرة للثقافات والحدود اللغوية.

رابعاً، يتجاوز هذا الوجه الإنسان وحده ليشمل الجن أيضاً، كما جاء في بعض النصوص والمرويات، وهو ما يدل على قدرة القرآن على التأثير في كل الكائنات القادرة على الإدراك، مما يزيد من شمولية الإعجاز وعمقه.

بذلك، يظهر أن الإعجاز التأثري يمثل القمة الحقيقية لمعجزات القرآن، إذ لا يقتصر على الجمال اللفظي أو العمق البلاغي، بل يشمل التأثير النفسي والوجداني والروحي على كل المتلقين، في كل زمان ومكان، ومع كل اللغات، وحتى على مستويات الوعي المختلفة، ليؤكد أن القرآن معجزة حية وشاملة لجميع الخلق.

### الشيخ محمد الغزالي السقا ورأيه في الإعجاز التأثري -ت 1416هـ

في كتابه (نظرات في القرآن) يعقد الشيخ/ الغزالي فصلاً كاملاً عن الإعجاز في القرآن الكريم، ويرى فيه أن إعجاز القرآن يبرز في وجوه ثلاثة: الإعجاز النفسي، والإعجاز العلمي، والإعجاز البياني. ويمكن أن نفهم حديث الإمام الغزالي عن الإعجاز النفسي . التأثري في رأينا . متمثلاً في نقاط أربع:

- 1 . مكانة الإعجاز التأثري.
- 2 . تأثير القرآن في المؤمن والكافر.
- 3 . من وسائل تأثير القرآن: تقديم الدليل المفحم على كل شبهة . تلوين الحديث . تصريف

الأمثال، قهر برودة الإلف، تعرية النفوس، التغلب على مشاعر الملل.  
4. موانع التأثر بالقرآن.

وحديث إمامنا عن الإعجاز النفسي (التأثري) أتى مرسلًا، دالاً على سجية مؤلفه، يحمل في طواياه هذه النقاط السابقة التي حاولت استخلاصها من حديثه العذب الذي لا غنى لباحث في إعجاز القرآن عن مطالعته والارتواء من نبعه الفياض. وتلمس النقطة الأولى أول حديث الإمام عن الإعجاز النفسي، فبعد أن يتحدث عما يعرض له القرآن من عقائد دينية وأحكام تشريعية، وحقائق علمية يقول: "قد تجد في القرآن حقيقة مفردة، ولكن هذه الحقيقة تظهر في ألف ثوب، وتتوزع تحت عناوين شتى، كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه، وهذا التكرار مقصود، وإن لم تزد به الحقيقة العلمية في مفهومها. ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط، بل بناء الأفكار والمشاعر، والتقاط مؤلفه آخر ما تختلقه اللجاجة من شبهات وتعلات، ثم الكر عليها بالحجج الدامغة، حتى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع لمفهومها للحق والاستكانة لله. وعندي أن قدرًا من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا..."<sup>39</sup>

تلك هي مكانة الإعجاز التأثري عند الإمام، فإن كان للقرآن الكريم وجوه إعجاز أخرى غير أنها لا تصل في قدرها وأهميتها إلى الإعجاز التأثري للقرآن الكريم في نفس الإنسان. ولكن هل يتأثر كل إنسان بالقرآن؟ أم يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ويرد أمامنا على هذا التساؤل بما يؤكد مكانة الإعجاز التأثري بين وجوه الإعجاز، وعدم اقتصره على نفس إنسانية دون أخرى، فيقول: "فما أظن أمرًا سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به. قد تقول: ولم يتأثر به؟ والجواب: إنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية. إلا ويعرض له القرآن بالهداية وسداد التوجيه. ما أكثر ما يفر المرء من نفسه، وما أكثر الذين يمضون في سبل الحياة هائمين على وجوههم. ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب. إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعاً، وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه. فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منهم.

وذلك سر التعميم في قوله عزوجل: (ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله. إنهم يقضون منه مثلما يقف الماجن أمام أب تاكل، قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه، ولكنه يؤخذ فترة ما يصدق العاطفة الباكية. أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون، إنه قد يرجع مستهزئاً، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها. والمنكرون من هذا النوع لا يطعمون في التأثير

<sup>39</sup> محمد الغزالي، نظرات في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط6، 1986، ص123

النفساني للقرآن الكريم، كما أن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة. ولذا يقول الله عزوجل: (الله نزل أحسن الحديث)<sup>40</sup>، وبذلك يكون الشيخ قد تناول النقطة الثانية التي يتأكد من خلالها إعجاز القرآن التأثري في المؤمنين والكافرين به على سواء. وفي النقطة الثالثة يبرز الإمام في بعض أسرار التأثير القرآني في الإنسان فيقول: (إن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل، أي بتقديم الدليل المفحم لكل شبهة، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة) فالنكوص عن الإيمان بعد قراءة القرآن يكون كفرًا عن تجاهل لا عن جهل، ومن تقصير لا من قصور. والجدل آفة نفسية وعقلية معاً، والنشاط الذهني للمجادل يمدد حراك نفسي خفي، قلما يهدأ بسهولة. وجماهير البشر لديها من أسباب الجدل ما يفوق الحصر، ذلك أنهم يرتبطون بما ألقوا أنفسهم عليه من أديان وآراء ومذاهب ارتباطاً شديداً، ويصعب عليهم الإحساس بأنهم وآبائهم كانوا في ضلال. مثلاً، فإذا جاءت رسالة عامة تمزق الغشاوات عن العيون وتكشف للناس ما لم يكونوا يعرفون. فلا تستغربن ما تلقى من الإنكار والتوقف، أو التكذيب والمعارضة. وأسلوب القرآن في استتال الجفوة من النفس، إلقاء الصواب في الفكر، أوفى على الغاية في هذا المضمون. ذلك أنه لون حديثه للسامعين تلويناً يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معاً، ثم تابع سوقه متابعة إن أفلت المرء منها أولاً لم يفلت آخرًا. وذلك هو تصريف الأمثال للناس. إنه أحاطه بسلسلة من المغريات المنوعة، لا معدي له من الركون إلى إحداها، أو معالجة القلوب المغلقة بمفاتيح شتى، لابد أن يستسلم القفل عنه واحد منها. وتراكيب القرآن. التي تنتهي حتماً بهذه النتيجة. تستحق التأمل الطويل. ولسنا هنا بصدد الكلام عن بلاغتها، بل بصدد البحث عن المعاني التي تألفت منها، فكان من اجتماعها هذا الأثر الساحر». ويستكمل الشيخ الغزالي بيانه عن وسائل القرآن التي تسبب التأثير في النفس الإنسانية فيقول: "إن طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تقهر برودة الإلف، وطول المعرفة، فتتعري أمامه النفوس، وتنسلخ من تكلفها وتصنعها، وتنزعج من ذهولها وركودها، وتجد نفسها أمام الله. جل شأنه. يحيطها ويناقشها، ويعلمها ويؤدبها، فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيخ ثم يقول:<sup>41</sup>

وكما قهر القرآن نوازع الجدل في الإنسان وسكن لجأته، تغلب على مشاعر الملل فيه، وأمدته بنشاط لا ينفد. والجدل غير الملل، هذا تحرك ذهني، قد يجسد الأوهام، ويحولها إلى حقائق، وهذا موات عاطفي، قد يجمد المشاعر، فما تكاد تتأثر بأخطر الحقائق، وكثير من الناس يصلون في حياتهم العادية إلى هذه المنزلة من الركود العاطفي، فنجد لديهم بروداً غريباً بإزاء المثيرات العاصفة، لا عن ثبات وجلادة، بل عن موت قلوبهم، وشلل حواسهم. والقرآن الكريم. في تحدته للنفس الإنسانية.

<sup>40</sup> محمد الغزالي، المصدر نفسه، ص 124

<sup>41</sup> محمد الغزالي، المصدر نفسه، ص 127-129

حارب هذا الملل وأقصاه عنها إقصاء، وعمل على تجديد حياتهم بين الحين والحين، حتى إنه ليتمكنها أن تستقبل في كل يوم ميلاداً جديداً. (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً).

### ومن وسائل القرآن التأثرية:

الترغيب والترهيب. يقول الغزالي: "والشعور بالرغبة والرغبة والرهبة والرقعة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق، ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم، والمغازي والعبر، تقشعر منه الجلود".<sup>42</sup> موانع تأثر النفس البشرية بالقرآن والانفعال به: وأخيراً فإننا نستطيع أن نلتقط من كلام الشيخ الغزالي بعض رؤاه العلمية العميقة التي يكشف من خلالها موانع تأثر النفوس البشرية بالقرآن والانفعال به، وهو ما أشرنا إليه سابقاً في النقطة الرابعة، يقول الغزالي فيما يؤكد هذه النقطة: إن إلفك للشيء قد يخفي ما فيه من أسرار، ويصرفك عن اكتشافها. وكثيراً ما تتلو آيات القرآن مثلما تتصفح آلاف الوجوه في الطريق، ملامح نراها، قد تكون دميمة، قود تكون وسيمة، تمر أشكالها بالعين، فما تثبت على أحدها إلا قليلاً وفي ذهول، لأن المرء مشغول. بشأنه الخاص عن دراسة القدرة العليا في نسج هذه العيون، وغرس هذه الرؤوس، وصوغ تلك الشفاه، وإحكام ما تنفج عنه من سنان، وما تؤدي إليه من أجهزة دوار، لا تقف لحظة، إننا نقرأ القرآن فيحجبنا. ابتداء. عن رؤية إعجازه: أنه كلام من جنس ما نعرف، وحروف من جنس ما نطق، فنمضي في القراءة دون حس كامل بالحقيقة.<sup>43</sup> فالشيخ الغزالي قد جعل وجه الإعجاز النفسي (التأثري عندنا) مقدماً على وجوه الإعجاز جميعاً، وعلى وجه الإعجاز البياني الذي كان يتصدر وجوه الإعجاز عند السابقين غالباً، وقد عرضت من كلام الغزالي نفسه ما يربط بين الوجهين رباطاً وثيقاً، بل ويجعل الإعجاز البياني. في رأيي. هو المقدمة للإعجاز التأثري، لكن اهتمام الغزالي بالإعجاز التأثري جعله يضعه في هذه المكانة، يقدمه بها على سواه.<sup>44</sup>

يمكن القول، وفق منظور الغزالي، إن الإعجاز البياني يُعد مدخلاً أو تمهيداً للإعجاز التأثري، فهو يبرئ النفوس لاستقبال المعاني ويشد انتباهها، لكن الجوهر الحقيقي للإعجاز، من وجهة نظره، يكمن في القدرة على إحداث أثر نفسي وروحي دائم، وهو ما يرفع مكانة الإعجاز التأثري إلى موقع متقدم، متقدماً على الإعجاز البياني نفسه. ومن هنا، يبدو أن تركيز الغزالي على الإعجاز التأثري لا

<sup>42</sup> محمد الغزالي، المصدر نفسه، ص 127-129

<sup>43</sup> محمد الغزالي، المصدر نفسه، ص 128

<sup>44</sup> محمد عطا يوسف، الإعجاز التأثري للقرآن الكريم- دراسة تاريخية وتطبيقية من القرآن الكريم والسنة

النبوية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع36، 1998، جامعة الكويت، ص44

يقلل من شأن الإعجاز البياني، بل يضعه في سياقه الصحيح كوسيلة لتعظيم الأثر النفسي والمعنوي للقرآن، ويظهر أن هدف القرآن النهائي لا يقتصر على الإعجاب بالفصاحة، بل يمتد ليشمل تغيير النفوس وإصلاحها، وهو ما يمثل أسى مراتب الإعجاز.

بهذا التوضيح، يمكن للباحث أن يرى أن الإعجاز البياني والإعجاز التأثري ليسا وجهين منفصلين، بل جانب وغاية متكاملان؛ الأول يُرى الأرضية والأسلوب، والثاني يُحقق الهدف النهائي في النفس البشرية.

### الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الجولة البحثية، يتضح أن الإعجاز التأثري للقرآن الكريم يمثل أحد أهم أوجه إعجازه الخالد، إذ يمتد تأثيره إلى النفوس البشرية على اختلاف مستوياتها، سواء كانت مؤمنة أو جاحدة، قوية أو ضعيفة، عربية أو أعجمية، غنية أو فقيرة. ويظهر البحث أن القرآن لا يكتفي بالبلاغة والفصاحة، بل يمتد تأثيره ليصل إلى القلب مباشرة، فيحدث تأثيراً نفسياً وروحياً لا يمكن مقاومته، وهو ما أكدته كبار العلماء والمفسرين مثل ابن القيم والخطابي، وكذلك من خلال الدراسات المعاصرة التي تناولت النظم البلاغي والإيقاع القرآني.

### أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. أن الإعجاز التأثري يعني أن للقرآن سلطاناً فريداً على القلوب والوجدان، يظهر في أثره الظاهر والباطن على سامعه وقارئه، ويتميز بقدرته على الجمع بين الجمال اللفظي والعمق الدلالي.
2. أن تأثير القرآن على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم ضلالهم ويقوم حججهم، ويجعلهم يشعرون بعجز بشري كامل أمام معجزته، كما تشير الآيات القرآنية.
3. أن النظرية البلاغية عند الجرجاني ونظريات الإيقاع الصوتي تؤكد أن التنظيم اللغوي والنظم الصوتي في القرآن يعززان التأثير النفسي على المتلقي، بما يجعل المعاني أكثر وضوحاً وقوة.
4. أن العلماء قد اختلفوا في تسميات هذا الوجه من الإعجاز بين "الإعجاز النفسي"، و"الإعجاز الروحي"، و"الإعجاز التأثري"، لكن الجميع يتفق على أن له دوراً مستقلاً وفاعلاً في التأثير على النفوس.

### التوصيات العلمية:

- يُنصح الباحثون بدراسة الإعجاز التأثري للقرآن في ضوء علوم النفس الحديثة وعلوم الإدراك، لتحديد الآليات التي يجعل القرآن من خلالها تأثيره النفسي فعلاً ومستداماً.

- إدراج دراسة الإعجاز التأثري ضمن المناهج التعليمية في الدراسات القرآنية والبلاغية، لإبراز الدور العملي للقرآن في تشكيل النفوس والمجتمعات.
- إجراء بحوث مقارنة بين أساليب النصوص الدينية الأخرى والقرآن من حيث القدرة على التأثير النفسي، بما يوضح خصوصية القرآن في هذا الجانب.
- اقتراح توسيع نطاق الدراسات المعاصرة لتشمل العلاقة بين الإعجاز التأثري والنظم الصوتي والبلاغي، ودوره في حفظ اللغة العربية وتعزيز حضورها الحضاري العالمي.

#### خلاصة القول:

إن الإعجاز التأثري للقرآن لا يقتصر على كونه فصاحة وبلاغة، بل هو تأثير شامل على العقل والوجدان والقلب، يعكس صدق الرسالة النبوية ويجعل القرآن معجزة خالدة للأجيال، قادرة على إحداث أثر نفسي وروحي يمتد عبر الزمان والمكان، ويجعل الإنسان أمام تجربة فريدة لا يمكن تكرارها بأي كلام بشري آخر.

#### المصادر والمراجع:

- أبو الحمد، جابر منصور علي. التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف، مجلة: كلية الدراسات الإسلامية، ع05، ديسمبر 2022
- الحمد، عبد القادر شيبية، الجامع الصحيح للبخاري من رواية أبي ذر الهروي، تح، ج1، ط1، 2008
- الشريف الجرجاني، محمد بن علي، التعريفات، دارالكتب العلمية، 1998.
- السيد أحمد، بن عمر بن أحمد. مجلة أبحاث، ع 13، 2019.
- السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، المملكة السعودية، د.ت
- ابن قيم، الجوزية، الفوائد المشوق في علوم القرآن، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م
- القاضي، عبد الجبار. المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: خضر محمد نهما، ج2، دارالكتب العلمية، بيروت، 2010م
- الخطيب، عبد الكريم. الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، لبنان، ط1، 1974م
- العصيلي، حمود بن إبراهيم. البلاغة القرآنية بين الإعجاز ودلائل الإيمان، مجلة الفرائد في البحوث العربية والإسلامية، مجلد (45)، إصدار شهر ديسمبر، 2023.
- حماس، محمد. إعجاز القرآن وأثره في نظرية النظم بين الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني. مجلة المعيار، مج. 14، ع. 2، 2023

- قطب، سيد. في ظلال القرآن، القاهرة-بيروت: دار الشروق، طبعة منقحة مصوبة فيها إضافات تنشر للمرة الأولى، ج1، ط11، 1405هـ-1985م،
- قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004م
- الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1973م
- جبرائيل سليمان جبور. كيف أفهم النقد؟ نقد وردّ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، عام1403هـ - 1983م
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، الأردن، ط1، 1989م
- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط6، 1986
- كريب، رمضان. فلسفة الجمال في النقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجاً، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م
- عطا يوسف، محمد. الإعجاز التأثري للقرآن الكريم- دراسة تاريخية وتطبيقية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع36، 1998، جامعة الكويت.
- إبراهيم علي، علي حبيب الله. نظرية النظم عند القاهر الجرجاني وتأثيرها في دراسته للصورة البيانية. مجلة: دراسات وأبحاث، مج07، ع18، 2015.
- بوكروشة، فوزية. الإعجاز التأثري للقرآن الكريم - التأصيل والمظاهر، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج20، ع02، 2024
- عبد المعطي عرفة، عبد العزيز. قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، دار عالم الكتب، بيروت، 1985.
- الخمري، مصطفى رجب. أثر القرآن الكريم في الألفاظ ودلالاتها في البلاغة العربية (نماذج مختارة)، مجلة البحوث الأكاديمية، ع12 يونيو 2018
- برغوث، عبد العزيز. القرآن الكريم وتأثيره النفسي على المتلقّي (دراسة تحليليّة)، مج10، ع02، أكتوبر 2025
- الأطرش، رضوان جمال. مظاهر إعجازية في دعائم البلاغة القرآنية: دراسة لنماذج مختارة، مج14، ع02، 2023.
- القايدي، محمد. جدلية الدرس البلاغي والإعجاز القرآني (من خلال جهود العلماء القدامى)، مجلة الشهاب، مج09، ع03، نوفمبر 2023.
- عسيري، فوزية. الاتجاهات في إعجاز القرآن الكريم، المجلة العلمية (كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين)، مج10، ع11، ديسمبر 2022.

الجلبوسى، سعد عواد بدرى. أهمية الإعجاز التأثري للقرآن الكريم فى الدعوة إلى الله، مجلة بوابة  
الباحثين للدراسات والأبحاث، مج1، ع1، كانون الثانى، 2025.